لوط

عليه السلام

قلنا فيما سبق إن لوطًا عليه السلام غادر الشام إلى سدوم منفصلا عن إبراهيم عليه السلام ليكون مركزًا ثانيًا للدعوة وكان ذلك بإذن إبراهيم وبأمره.

أما السبب فى تصرف ابراهيم عليه السلام هذا التصرف فهو أن أهل سدوم اشتهر عنهم فى المدن والأقاليم المجاورة، أن القاعدة عندهم إنما هى الفساد، وأن من الشذوذ أن تجد للخير فيهم أثرًا.

لقد كانوا يقطعون الطريق ولا يدعون أحدًا يمر فيه إلا إذا أخذوا منه العشر، هذا إذا لم ينهبوا ماله كله.

ولم يكن للأمانة عندهم من وزن وكانت الخيانة هى القاعدة حتى لقد كانوا يخونون الرفيق والصديق. وقد كانوا يأتون فى ناديهم المنكر، ناديهم هو مكان اجتماعهم وحديثهم - وكان ما يدور فيه إنما هو الغيبة والنميمة،

obeikandl.com

وهو البذىء من الأقوال والسيئ من الأفعال.

هذا كله فضلاً عن تلك الجريمة الخلقية المنافية للطبيعة الإنسانية التى درجوا على ممارستها حتى نسبت لقومهم.. والتى أصبحت فى هذا المجتمع القاعدة العامة، والطريقة الشاملة.

وكان من الواضح البديهى أن اللعنة حلت على هذا المجتمع، وأنه إذا لم يغير ما هو عليه من رذيلة فإن التدمير سيلحقه حتمًا.

﴿إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾(الرعد آية: ١١)

وهذه الآية الكريمة كما تعنى الجماعات فإنها أيضًا تعنى الأفراد . أى أن الله لا يغير ما بشخص حتى يغير ما بنفسه.

ولما شاع أمر هذه المدن السبع التى كانت تسمى سدوم، واشتهر أمرها، أحب إبراهيم عليه السلام أن يهديهم إلى الله، ولأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها.

أحب ابراهيم ذلك وصدف ذلك هوى فى نفس لوط عليه السلام، وكان أن سافر لوط إليهم هاديًا وناصحًا ومرشدًا.

وذهب لوط إليهم فى قوة الشباب، وتحمس المؤمنين الصادقين، وإخلاص النية فى سبيل الله، وأخذ ينصح ويرشد ويذكر بأيام الله ومعاقبة المفسدين، ولكنه فوجئ بقلوب فى جمود الصخر وقسوته، وبنفوس أشربت حب الرذيلة ، إلى درجة أنهم حينما كان لوط يذكرهم بالله كانوا

يتداعون إلى إخراجه يقولون:

﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾..

ثم يذكرون العلة فى ذلك فيقولون:

﴿إنهم أناس يتطهرون﴾.

فكان الطهر والصفاء والنقاء فى نظرهم من الأسباب التى تدعو إلى الطرد من مدنهم.. ورغم ذلك فقد استمر لوط يذكر بالله وباليوم الآخر، وكان موقفه فى ذلك مثل الموقف الذى قصه الله سبحانه وتعالى حينما يقول:

﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أومعذبهم عذابًا شديدًا؟﴾

﴿قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾. (الاعراف: ١٦٤).

وكان لا مناص من تدمير سدوم وتطهير الأرض من فساد عم سدوم كلها.

يقول تعالى:

﴿وإن لوطًا لمن المرسلين. إذا نجيناه وأهله أجمعين. إلا عجوزًا فى الغابرين، ثم دمرنا الآخرين، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين. وبالليل أفلا تعقلون؟﴾. (الصافات: ١٣٣-١٣٨).